آيات القرآن فهو لا يُفسِّر النصوص القرآنية بنقلٍ محضٍ لأقوال القدماء أو المعاصرين، ولكنّه يربط الآية بالواقع، ويربط الواقع بالنص، فيشهد للنص ويستنطقه، دون أن يغفل عن أقوال أهل العلم، بل يستحضرها إفادةً وتأصيلًا.

وفي إهداء الكتاب تلمس روح الوفاء رقراقةً، تَفيضُ حُبًّا وإجلالًا، وتنبضُ بصدق العلاقة مع الرفاق والمربين والمجاهدين والآباء والأمهات، وفي التمهيد -بين يدي الكتاب- ترى أمامك خباب بن الأرتّ ﷺ عنوانًا، وكأنّ الشهيد يفتتح حديثه من مدرسة الصبر الأولى، المدرسة التي اعترف بها الفاروق ﷺ، وروى لنا خباب عن سيده وسيدنا ﷺ ما يُطمئنُ القلوب في البلاء، ويُثبِّتُ الخطى في أعتى لحظات المحنة حين قال ﷺ: «كان الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَ مَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

إنَّه حين يجعلُ شابٌ من زماننا سيدنا خبابًا عنوانًا ومفتاحًا لكتابه، وهو يعيش مشهدًا حيًّا من مشاهد الابتلاء والمواجهة، تدرك أيَّ يقينٍ يسكن قلبه، وأيَّ إيمانٍ يملأ صدره؛ إنّه لا يستحضر خبابًا باعتباره رمزًا تاريخيًا ماضيًا، وإنّما مثالًا يُعاد حضوره في زمننا، ومقامًا تُستدعى همَّتُه في الجبهة، فيستصحب سيرته لا للتسلية، ولكن للتأسِّي والاتباع، فهو في قلب الحدث، في ذات المحنة، وعلى ذات الطريق، ومتى رأيتَ هذا الشاب يستظلُّ بظلِّ خباب، أيقنتَ أنَّه من نسل الإيمان الصافي، وأنَّه ممن صدقوا فسبقوا، وجعلوا من البلاء سُلَّمًا للثبات، ومن الحصار منبرًا، ومن الموت حياةً، ومن الشهادة ميثاقًا مع الله لا يُنكث، فكم ابتُلِي هؤلاء الإخوة بشدائدٍ تعجز

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 3612.